العرب
الجمعة 2020/04/24
السنة 42 العدد 11687

اندفاعة الحرس الثوري.. تنفيس من أزمة كورونا ورسالة لأذرع إيران

المرشد الأعلى يدفع بالحرس الثوري لقيادة السياسة داخليا وخارجيا ويهمش دور الحكومة

استعادت الجبهة الأميركية الإيرانية الأضواء من وباء كورونا الذي فتك بشريا واقتصاديا بإيران والولايات المتحدة. ورغم أن الخبراء لا يتوقعون أن يجاوز التصعيد الجديد حدود التهديد الأميركي واستعراض القوة الإيراني، فإنهم في نفس الوقت لا يقللون من خطورة الاندفاعة الإيرانية التي يقودها الحرس الثوري الإيراني للهروب إلى الأمام من ضغوط العقوبات وتداعيات فايروس كورونا.

سياسة انتحارية

لندن – عاد التصعيد الإيراني الأميركي إلى واجهة الأحداث خلال اليومين الأخيرين. بدأ الأمر بإصدار وزارة الخارجية الأميركية تقريرا مفصلا عن محاولات تحرش الإيرانيين بالبوارج الأميركية في مياه الخليج العربي، أعقبه تحذير الرئيس الأميركي دونالد ترامب النظام الإيراني من مغبة استهداف قوات الحرس الثوري للسفن الأميركية.

تلقفت إيران، المختنقة بسبب أزمة كورونا التي قضت على الآلاف من الإيرانيين وتهدد بالمزيد من الضحايا، هذا التحذير لتبعد الأنظار عن الجائحة التي كشفت عورات النظام الصحي في البلاد، حيث ردت بإطلاق أول قمر اصطناعي عسكري. ويأتي ذلك بعد حوالي شهرين على إطلاق إيران قمرا اصطناعيا أخفقت في وضعه في المدار، ضمن برنامج تقول الولايات المتحدة إنه "غطاء لتطوير صواريخ عسكرية".

رد حاسم

في خضم الجدل الذي أثارته هذه العملية، يطل قائد الحرس الثوري اللواء حسين سلامي على التلفزيون الرسمي مهددا بتدمير السفن الحربية الأميركية، في حال نُفذت تهديدات ترامب بـ"تدمير" أي قطعة بحرية إيرانية تقترب من سفن أميركية في الخليج. وقال سلامي "نقول للأميركيين إننا مصممون وجادون للغاية... وإن أي عمل سيتم التعامل معه برد حاسم سيكون فعّالا وسريعا".

في ذات السياق، استدعت السلطات الإيرانية السفير السويسري في طهران، الذي يمثل المصالح الأميركية لديها، وسلمته رسالة لنقلها للولايات المتحدة مفادها أن إيران ستدافع بقوة عن حقوقها الملاحية في الخليج وستردّ على أيّ تهديدات. ورجّح مراقبون أن الرسالة الإيرانية تهدف بالأساس إلى التهدئة مع الجانب الأميركي، فسياسات طهران الخارجية ترتكز أساسا على التهديد والوعيد العلني والمهادنة والتفاوض سرًا.

> النظام الإيراني غير قادر على تصعيد التوتر في ظل الضغوط المسلطة عليه إلا أن ذلك لا يفرمل اندفاعة الحرس الثوري

في المقابل، يلفت المراقبون إلى أن هناك وجها آخر للصورة اليوم يختلف عمّا تعوّد عليه المجتمع الدولي من إيران، وهو تقدّم الحرس الثوري الواجهة والدور الذي بات يلعبه اليوم في صناعة القرار. فرغم أن سياسة التصعيد عبر استعراض الأسلحة والتجارب الصاروخية والاستعراضات العسكرية ليست بالأمر المستجد، والسياسة العسكرية عقيدة موجودة أصلا في نظام الحكم في إيران ومتغلّبة على الجانب السياسي، تبدو اليوم هذه السياسة أكثر اندفاعيا وتهورا، حتى أن البعض يصفها بالانتحارية.

صار المراقبون ينظرون للتصعيد الإيراني من زاوية إيران الحرس الثوري، لا إيران التي عرفها العالم قبل أربعة عقود. ويقول فرزين نديمي، هو محلل متخصص في الشؤون الأمنية والدفاعية المتعلقة بإيران ومنطقة الخليج بمعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، "زاد الحرس الثوري سلوكه العدائي في المنطقة المجاورة"، فيما يؤكد مسؤولو استخبارات غربيون ومحللون إيرانيون أن الحرس الثوري يوسع قاعدته ويبسط سيطرته على البلاد.

وفي ذات السياق لفت محللون أميركيون وأوروبيون إلى أن الدور الجديد للحرس الثوري في الحكم يمكن أن يترك إيران بقوة أكبر في أيدي العناصر المعادية للغرب بشدة، والتي تفضّل استخدام العنف في التعامل خصومها. وحذّرت صحيفة واشنطن بوست من أن الحرس الثوري قد يزداد عدوانية في معركة تعتبر مصيرية له، وذلك من جهتين.

تتعلق الجهة الأولى بالوضع داخل إيران، سواء من حيث تداعيات فايروس كورونا، أو من حيث الاحتجاجات الإيرانيين التي زاد الوباء من حدتها.

وفي خضم هذا التعقيد يواجه الحرس الثوري الذي يسيطر على إمبراطورية اقتصادية ضخمة أزمة مالية بعد أن تأثرت الصناعات التي يديرها بالعقوبات.

وتحيل هذه الأزمة إلى الجهة الأخرى، حيث يترك نقص المال أثره على علاقات الحرس الثوري بالميليشيات الموالية له في لبنان والعراق وسوريا واليمن. كما كان لتصفية قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني تأثيره على علاقات الحرس الثوري بالميليشيات. وهنا يعتبر المراقبون أن استعراضات القوة الأخيرة هي رسالة أيضا لهذه المجموعات باستمرارية الحرس الثوري وقوته.

أي دور للحكومة

تبدو الحكومة والرئيس الإيراني مهمشين في كل هذه التطورات، وحتى دورهما في مواجهة وباء كورونا استلمه الحرس الثوري، الذي تولى أيضا مهام خارجية. وهذا التهميش كان واضحا خلال السنوات الأخيرة التي استقوى فيها الحرس الثوري وتمددت فيها إيران في العراق واليمن وسوريا.

ويستدل الخبراء في هذا السياق باستقالة وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، السنة الماضية، وذلك عندما نسق الحرس الثوري زيارة الرئيس السوري بشار الأسد إلى طهران من دون أن يعرف وزير الخارجية، الأمر الذي يدل على تأثير الحرس في صناعة القرار السياسي الأهم في البلاد. وقد غرّد ظريف مبررا استقالته بأنها "جاءت للدفاع عن مكانة الوزارة ودورها الحيوي في تعزيز الأمن القومي للبلاد".

ولطالما كانت قوة الحرس الثوري أقوى من سلطة الحكومة، وهي مستمدة من دعم المرشد الأعلى والحلقات المرتبطة به، ومن المحافظين الذين يراهنون اليوم على الحرس الثوري من أجل الحفاظ على "مبادئ" الثورة الإسلامية.

لكن، يلفت مهدي خلجي، الخبير في الشأن الإيراني، إلى أن إيران قد تكون في خضم تغيير تطوّري. فالنموذج القديم قد شكّل نظاما ثوريا إسلاميا تم إدراجه بموجب مبدأ "ولاية الفقيه"، ولكنّ ذلك يمكن أن يفسح المجال أمام قيام نظام أمني وعسكري خاضع إلى حد كبير لسيطرة تحالف من الفصائل الرئيسية في الحرس الثوري من جهة وحلفاء الحرس المحددين حديثا والمستفيدين منه وعملائه من جهة أخرى.

رغم أن النظام الإيراني غير قادر على تصعيد التوتر مع الولايات المتحدة في ظل الضغوط المسلطة عليه، إلا أن ذلك لا يفرمل الاندفاعة العسكرية للحرس الثوري في وقت تشتد فيه الأزمات في الداخل وبهتت معه مصطلحات من قبيل اقتصاد المقاومة وتحوّلت شعارات المظلومية إلى تمرّد وسياسة انتحارية ينطبق عليها المثل القائل "عليّ وعلى أعدائي"، وضحيتها الأولى هم الإيرانيون.

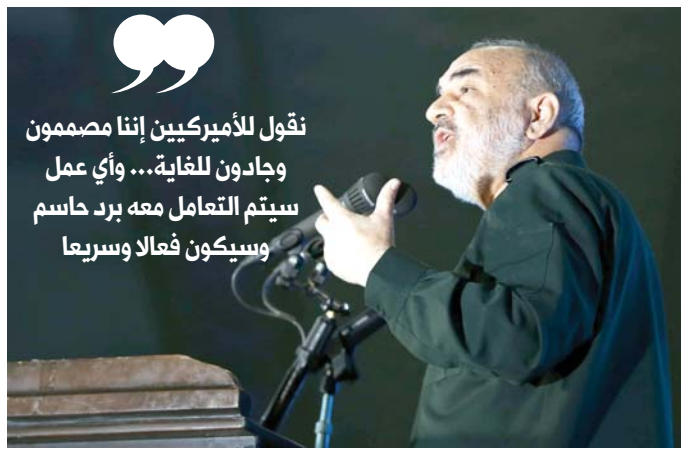

كيف يمكن للإدارة الأميركية أن تتعلم من إسرائيل لمواجهة إيران

واشنطن – في مواجهة الاندفاعة الإيرانية، تبدو الولايات المتحدة بحاجة إلى إيجاد طرق أكثر فعالية لحماية مصالحها ومواجهة بدائل إيران ووكلائها بينما تتجنّب الحرب الشاملة. ويقترح الخبير إيلان غولدنبرغ، مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز واشنطن، أن تستفيد واشنطن من التجربة "الحملة الإسرائيلية ضد إيران في سوريا"، والتي اعتبرها "واحدة من أنجح الجهود العسكرية للرد على إيران في المنطقة الرمادية".

ويقول غولدنبرغ "درس العسكريون الأميركيون الحرب العربية الإسرائيلية عام 1973 للتحضير لحرب تقليدية محتملة مع الاتحاد السوفييتي. اليوم، يمكن للجيش الأميركي أخذ الدروس المستفادة من حملة إسرائيل في سوريا وتطبيقها على صراع المنطقة الرمادية مع إيران".

ويشرح الخبير الأمني في تحليل نشرته مجلة "ديفانس نيوز" ما يعتبره "نقاط تفوق" الإستراتيجية الإسرائيلية ضد إيران، لافتا إلى أن الإسرائيليين ركّزوا على هدف عملي محدّد للحدّ من تدفّق الذخائر الموجّهة إلى سوريا والتي يمكن أن تجهد نظام القبة الحديدية. وسمح هذا لهم بتطوير مجموعة أهداف ضيقة وإرسال رسائل ردع واضحة لإيران مباشرة. في المقابل، يعتمد النهج الأميركي الحالي على 12 هدفا واسعا وشاملا للقضاء على كل النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط، مما يصعّب التركيز على خطوات عسكرية محدودة وفعالة.

وتابعت إسرائيل هذه الحملة في مسارح أين أمكنها أن تحتفظ بتفوقها العسكري. على هذا النحو، لم تسفر المئات من الضربات الإسرائيلية إلا عن محاولات إيرانية غير فعّالة للانتقام.

من جهتها، تعدّ الولايات المتحدة قادرة على تطوير هذا النوع من التفوّق العسكري والاستخباري، ولكنه يبقى مكلفا وصعبا بالنسبة لقوة عظمى تمتد التزاماتها إلى جميع أنحاء العالم، مما يعني أن عليها أن تخفف من نشر قواتها لتوظفها عندما تكون مصالحها الوطنية الرئيسية على المحك.

ولتقليل خطر التصعيد أكثر، عملت إسرائيل على الحدّ من الخسائر البشرية والمدنية. وفي بعض الحالات، أطلقت طلقات تحذيرية عمدا لتفريق المقاتلين الإيرانيين قبل تدمير الأنظمة والأسلحة. وأثارت العملية الأميركية في أواخر ديسمبر، والتي أودت بحياة 25 مقاتلا من كتائب حزب الله ردا على مقتل مقاول أميركي في العراق، دورة تصعيدية خطيرة. وأثارت العملية اقتحام سفارتها في بغداد، مما انجر عنه الضربة اللاحقة على سليماني وإطلاق الصواريخ البالستية الإيرانية الانتقامية على القوات الأميركية.

إيلان غولدنبرغ

إسرائيل استخدمت نهجا غير تقليدي في التخطيط العسكري

كما يلفت غولدنبرغ إلى سياسة تطوير حملة الرسائل المضمّنة، حيث امتنعت إسرائيل عن إحراج إيران علنا، وهو ما يقع في تناقض قوي مع تغريدة الرئيس دونالد ترامب لصورة علم أميركي بعد قتل سليماني. ومع ذلك، ومن خلال التسريبات الإستراتيجية، أوضح الإسرائيليون لإيران تكاليف مواصلة إرسال أسلحة إلى سوريا.

ويشير الباحث إلى أن الولايات المتحدة لن تكون قادرة على تنفيذ مثل هذه الحملة، حيث يعتمد الإسرائيليون رقابة عسكرية. لكن الحملات الأميركية السابقة ضد القاعدة في باكستان واليمن استخدمت رسائل عامة مماثلة. مع ذلك، كانت إسرائيل على استعداد لتحمّل المخاطر المحسوبة مع الاعتراف بوجود خيارات عديدة بين غياب العمل العسكري الحركي والحرب واسعة النطاق. وفي كثير من الأحيان، لا ترى الولايات المتحدة هذه المنطقة الرمادية. ويخشى القادة اتخاذ أيّ إجراء خوفا من آثاره السلبية مثلما امتنع الرئيس السابق باراك أوباما عن الرد عسكريا على استخدام الرئيس السوري بشار الأسد للأسلحة الكيميائية في 2013. ويقرر بعض القادة الارتقاء فوق سلّم التصعيد، مثل الرئيس دونالد ترامب عندما أمر بتصفية قاسم سليماني.

استخدمت إسرائيل نهجا غير تقليدي بالفعل في التخطيط العسكري. فبدلا من البدء بتحديد أهدافها النهائية المرغوبة، وهي الطريقة التي يتم بها التخطيط العسكري الأميركي، اتبعت إسرائيل نهجا تدريجيا للتخطيط، والذي بدأ باختبار ضربات محدودة. وعندما فشلت إيران في الانتقام، عدّلت إجراءاتها وفقا لذلك.

وتعدّ متابعة الدبلوماسية التكميلية لوضع مساحة للعمل العسكري أمرا أساسيا أيضا. ونظمت إسرائيل معظم هذه العمليات في المجال الجوي الذي تسيطر عليه روسيا. ومن خلال الاستفادة من اهتمام روسيا المحدود بالدخول في منتصف المواجهة بين إسرائيل وإيران، أدى الترابط المستمر بين رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو والرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى تجنّب الصراع.

هنا، يشير غولدنبرغ إلى أن على الإدارة الأميركية إتباع نهج مماثل مع حكومة عراقية تخشى الوقوع في خضم مواجهتها مع إيران، لكنها لا تريد أن تغادر القوات الأميركية أراضيها بالكامل. ويخلص بقوله إن حرب الظل بين إسرائيل وإيران مستمرة على عدّة جبهات، وتتأقلم إيران مع هذه الانتكاسة في سوريا. ومع اختلاف المسؤوليات والقدرات والمصالح، لا يمكن للولايات المتحدة أن تكرر النهج الإسرائيلي بدقة. لكن التجربة الإسرائيلية في سوريا تشير إلى خيارات الولايات المتحدة في المنطقة الرمادية إذا كان صنّاع السياسة الأميركيون مستعدين وقادرين على تكرار بعض العناصر التي شكّلت النموذج الإسرائيلي.